

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

في بلاد المدينة :

ذهبت بعيداً طائراً في أجواء المستقبل فارتعشت وذعرت
عند ما نظرت ما حولي فما وجدت من معاصر لي غير الزمان .
وليت الأدبار مسرعا حتى وصلت إليكم ، يا رجال اليوم ، ونزلت
بينكم في بلاد المدينة ، فألقيت عليكم أول نظراتي بصفاء نية
لأنني جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ما أهاب بي إلى الضحك .
بالرغم من ارتياحي ، فإن عيني مارأت من قبل مثل هذه الخطوط
والألوان .

ذهبت في ضحكي وقد ارتعش قلبي واصطكت رجلاي
فقلت في نفسي (لعل هذه مصانع آتية المواد الملوثة) .

لقد برزتم أمامي يا رجال اليوم ، وعلى وجوهكم وأعضائكم
من الألوان عشرات الأنواع ، وحواسكم عشرات المرايا
تعكس تموجات ألوانكم ، والحق أنكم لا تستطيعون أن
تجدوا ما تقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، يا رجال
اليوم ، فمن له أن يعرف من أتم ؟

لقد حفر الماضي في وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً
جديدة ، لذلك خفيت حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .
ولو كان لأحد أن يفحص الأحشاء فهل يوسعكم أن تثبتوا
أن لكم أحشاء وما أنتم إلا جيلة هباب ألوان وقطع أوراق
ألصقت إصصا . وهذه جميع الآزمنة وجميع الشعوب تزاحم
مرسلة نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن
تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فإذا ما نزعتم أقنعتكم
وألقيتم أحمالكم ومسحت ألوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى
منكم إلا شبح ينصب مفرعة للطيور .

والحق ، ما أنا إلا طائر مروع ، لأنني رأيتم يوماً عراة
لا تستركم ألوانكم فاستولى الذعر على إذ انتصبتم أمامي هياكل

أرقد لغفلتك ، وانهمض ليقتلك ، صوت نيك ، صديق
تسمعه أذنائي . بين رنين الأجراس ، أفرق نعمتك . تنغمرن
موجاتك . كالأجراس تعلو في جنباتها رنات بعوضة طائرة .
أقول لنفسي : هذه الزفرة الحزينة المبهمة ، يحملها إلى نسيم
الليل العميق ، موجة إثر موجة . أواه الأجلّي تتردد هذه
الاصوات العالية . أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر . والهواء
الجاهل في هذا السكون المحترم يحمل إلى لهجته المؤثرة .

أقول لنفسي : صوت هذا المعدن المتردد ، قبل أن يصل إلى
قلبي ، وينغمر جنباته ويفرق قطعاته ، اهتز فوق أطلال الماضي
الراقد ، يحمل إلى من بقايا قلبه المهتمة أشياء .
حجر القبر ، حيث دفن حي ، يقرع بهذا اللحن العذب .
لا تعجب يا ولدي إذا اهتزت أفكارى لأصوات هذا
التاقوس . مغرم بصمته الأمين للردى . لأول رنة تحتلج
تحت قلبه أقف مصغياً لما يحمله إلى الحمام
أما أنت ، مذياع الحزن البشري الذي اخترعته الأرض
لتجهر بآلامها . غن نشيد القلوب المحطمة الرائع ، فزفراتك
تهب الأحجار روحاً ، والمقل الجافة دموعاً ، والصلاة خشوعاً
أبدياً ، والقبور حزناً سرمدياً .

عند ما يحمل العمال نفسي وبقايا حطامي ، تبقى هنا روحي
تقذف حمماً المتهبة نحو السماء . أبا كون ، حاشية باردة ، تسير
خليتي ، اتضع جسدي ، تحت باب حقير ، ترتقي عليه أشعة الشمس .
إذا بدو رعة قرعتك لشرفي . فلا تحزن مخلوقاً بزفراتك
المتصاعدة . لا تنشر الدموع في الأفق . الخمس جرس العيد
واقرع فوق لحدي ، برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبة
غرد كالغندليب لحناً خالداً ، يرتفع من منزلك ، والوسط
الأسمر يوجه نحو فجر النهار خففته المخزنة .
غن أنشودتك المترددة في أعماق السموات تظني .
شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة .

إليك

أقرع قبل اليوم ، دق رويدا الساعة . صديق في منزل
الحقير ، يحضر ليضيء في هذا القلب المهدم ، الحزن العميم ،
ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلاً
كفني .
حسين تفكجي

عظام تومي. إلى بإشارات العاشقين .

وأسفاه ! إلى أية ذروة يجب على أن أرتقي بأشواق
فانتي أدير لحاظي من أعلى الذرى مفتشاً عبثاً عن مسقط رأسي
وأوطاني ، فانا لا أزال في أول مرحلتى تائهاً في المدن أنتقل
أمام أبوابها .

لقد اندفعت بعواطني نحو رجال هذه الأيام ، ولكنني
ما لبثت أن تبينت فيهم قوماً غرباء عني لا يستحقون إلا سخرتي ،
وهكذا أصبحت طريداً يتشوق إلى مسقط رأسه وأوطانه .
ولا وطن لي بعد الآن إلا وطن أبنائي في الأرض المجهولة
وسط البحار السحيقة ، لذلك وجب على أن أندفع بشراعي
على صفحات المياه لأقتش عنه .

على أن أكره عن ذنبي أمام أبنائي لا تنى كنت ابناً لأبائي .
على أن أكره عن حالي العتيد بكل جهودى في آتى الزمان
هكذا تكلم زارا .

المعرفة الطاهرة

عند ما أطل القمر على ليلة أمس خيل إلى أنه أنشئ أنقلها
الحبل وكان في أحشائها كوكب النهار . وقد جامها المخاض
وأنا أميل إلى تذكير القمر منى إلى تأنيته وإن خلا من صفات
الرجولة فانه رائد ليل يمر على السطوح وقد ساءت نواياه ، فهو
كالراهب المتدفق شهوة وحسداً يتمنى لو يتمتع بملذات
جميع العاشقين .

لا ، إننى لأحب هذا الهر المتجول على مزاريب السطوح ،
لأننى أكره كل متلصص أمام التوافد التي لم يحكم إقفالها .
إن القمر ليمر خاشعاً متعبداً على بساط النجوم وأنا أكره
كل من ينساب في مشيته فلا تسمع وقماً لأقدامه . فارت
خطوات الرجل الصريح تستنطق الأرض ؛ وما يمشى الهر إلا
متجسساً ، وهذا القمر لا يتقدم إلا بخطوات الغدر كالحمر .

ما أوردت هذا المثل إلا لكم وعنكم يا أبناء الحب وقد
أرهقتم أحساسكم لطاب المعرفة الصافية ، وما أنتم في نظرى
إلا عبيد الملذات لأنكم أنتم أيضاً تحبون الأرض وما عليها
ومنها . لقد عرفت طريقتكم فاذا في حبكم ما ينجل وما يفسد
الأخلاق ، فما أشد شبهكم بكوكب الليل .

لقد أنعموكم بأن تحتقروا كل ما ينشأ من التراب ، ولكن

إننى أفضل أن أكون من عمال الجحيم وخدام الأشباح ،
لأن لسكان الجحيم ما ليس لكم من شخصية معينة ، وأمر ما ألقاه
هو أن أنظر إليكم سواء استترتم أو تعريتم ، يارجال اليوم ...
إن جميع ما يدعو إلى القلق في آتى الزمان وجميع ما ارناعت
له في الماضي تأتهات الطير ، إنما هو أدعى إلى الاطمئنان والارتياح
من حقيقتكم ، لأنكم أنتم الفائلون : (إنما نحن الحقيقة
المجردة عن كل خرافة واعتقاد) وبهذا تتبجحون وتلتفخون
دون أن يكون لكم صدور .

وهل من عقيدة لكم وأنتم المبرقشون بجميع ما عرف
الزمان من ألوان حتى اليوم ؟ وهل أنتم إلا دحض صريح
للإيمان نفسه وتفكيك للأفكار جميعها ؟ فأنتم كائنات أوهام
يامن تدعون أنكم رجال الحقائق .

لقد قامت العصور كلها تتعارك في تفكيركم ، وما كانت هذه
العصور في أحلامها وهذيانها إلا أقرب إلى الحقيقة من
تفكيركم وأنتم متبهون .

بليتيم بالعقم ففقدتم الإيمان وقد كانت للبدع أحلامه
وكواكب قبلكم فوثق من إيمانه .

ما أنتم إلا أبواب فتحت مصاريعها الحفار القبور ، وما
حقيقتكم إلا القول بأن كل شيء يستحق الزوال .

إنكم تنتصبون أمامي كياكل عظام متحركة ، أيها المبتلون
بالعقم ، ولا ريب في أن أكثركم لم يخف عليه أمر نفسه عند
ما تسأل : (هل اختطف إله منى شيئاً وأنا نائم ؟ والحق أن
ما سلب منى يكفي لإيجاد امرأة ، فما أضعف أضلاعى) هكذا
يتكلم العدد الوفير من رجال هذا الزمان .

إن حالكم ليضحكني أيها الرجال ؛ ويزيد في ضحكى أنكم
لأنفسكم مستغربون . ولشد ما يكون وبلى لو امتنع على أن
أضحك من استغرابكم ولو اضطرت إلى ازدراد ما في
أوعيتكم من كربه الطعام .

إننى أستخف بكم لما على عاتق من ثقل الاحمال فما يهمنى
لو نزل عليها بعض الذباب فانه لن يزيد لها ثقلاً وما أنتم من
يحملني أشد الاتعاب أيها المعاصرون .

لقد أخشفت القول لكم فكلماتي مشوهة ذرية ؛ غير أنني
أتناولها من الفئات المتساقط من موائد ولا تمك فاستعملها
حين أعلن الحقيقة للخبثاء وهذا ما يبدى من حسبك وأصداف
يخدش آنا فكم أيها الخبيثاء .

إن الهراء الفاسد يهب بلا انقطاع حولكم وحول مادبكم
لأنه مشبع من أفكاركم الدنسة وأكاذيبكم وخداعكم .

عليكم بأن تبدأوا باطراح خورك لتوصلوا إلى الوثوق
بأنفسكم فما ينقطع عن الكذب من لا ثقة له بنفسه

لقد أخفيت وجوهكم بأقنعة الآلهة أيها الرجال الاتقياء
فأنتم ديدان قيحة تنشع برداء الارباب

إنكم لجد متبحرين يا رجال التأمل ، حتى أن زارا نفسه
أخذ بمظاهر جلودكم الالهية خفيت عنه الأفاعي الكامنة وراءها
لقد كنت أرى في عيونكم روح إله أيها الطالبون المعرفة
الطاهرة ، قبل أن تكشف لي تصنعكم فعرفت أنكم أهمر
المتصنعين

لقد بعد المجال بيني وبينكم فما تميزت فيكم الثعبان القبيح ،
ولا وصلت إلى رائحته الكريهة ، وما خطر لي أن أمامي حرباء
تتلون بشهواتها . ولكنني عند ما اقتربت منكم تبددت الظلمة
حول . وهان الفجر يغمركم بأنواره فلكل فرجنوح إلى الغياب
في شهوته . أنظروا إلى هذا القمر فهو في أفقه شاحب مذعور
وقد باغته الفجر بأنواره المرسله ، فكل شمس يتجلى حبها
الطاهر في تشوقها إلى الابداع

أما ترون الفجر ينسحب على البحر وقد احتاجه الشوق
والحنين ؛ إنما تشعرون بظمأه في حبه وحر أنفاسه ، فكأنه
يزيد ارتشاف اللبج . وهامي ذي تعالى نحوه بالآلاف نهودها ،
واللجة نفسها متشوقة إلى وصال كوكب النهار ليرشفها
ارتشافاً فتتحول إلى سحب ومسالك أنوار ، بل هي نفسها
تفنى في النور متحولة إلى نور

وأنا كوكب النهار أحب الحياة وكل لجة بعيدة الأغوار ؛
تلك هي معرفتي . أنني أجذب كل غور ليتعالى إلى ...
هكذا تكلم زارا ...

هذا الاقتناع لم ينفذ إلى أحشائكم ، وأحشاؤكم هي أقوى ما فيكم ؛
وهكذا أصبح عقلكم خجلاً من سيطرة أحشائكم عليه ، فهو
يتبع الطرق الخفية المضالة فزعاً من حجله . أنصتوا إلى مناجاة
عقلكم لنفسه فهو يقول : ليت لي أن أرتقي إلى حيث أنظر
إلى الحياة محرراً من الشهوة فلا ألهث أمامها ككلب يدلي لسانه
وقد شفه السغب من شهوته .

ليت لي أن أسعد بالتأمل متفوقاً على إرادتي متحرراً من
خساسة الانانية ومطامعها فيسود على السلام ولا يبقى لعيني
سوى لحظات القمر الثملة .

إن عقلكم يطلب التملص من ذاته لأنه طريد يشتهي أن
يتمشق الأرض كما يتمشق القمر فلا تتمتع إلا عيونكم بجملها
إن عقلكم يرى المعرفة الظاهرة لا تحتله ما لم ينسبط
أمام الأشياء دون امتلاكها مكتفياً بانعكاس أشباحها عليه
كما تنعكس الأشباح على مرآة لها مئات العيون .

أيها الخبيثاء المتحرقون بالشهوات ، لقد خلت شهوتكم من
الطهارة فلذلك تمجدون على الشهوة ، فأنتم لا تحبون الأرض
كما يحبها المبدعون والمجددون الذين يسرون بما يبدعون وبما
يحدثون . فلا طهارة إلا حيث تتجلى إرادة الابداع ، فن
اتجه إلى خلق من يتفوق عليه فذلك عندي صاحب أطر إرادة
وأثاقها .

طلبت الجمال فما وجدته إلا حيث تنصب الإرادة بأكملها
إلى المراد ، وحيث يرتضى الإنسان بالزوال لتجديد الصور
وتبديلها ، فالهبة والموت صنوان متلازمان منذ الأزل فن أراد
الحبة فقد رضى بالموت . هذا ما أقوله لكم أيها الجبناء

ولكن نظراتكم المنحرفة المأثرة تحب الاستغراق في
التأمل فتريدون أن يدعى جمالا ما تجدونه أنتم بعين الحذر
والجبن ؛ إنكم لتدنسون أشرف الأسماء .

إن الآمنة التي تحمل بكم ، أيها السائرون وراء المعرفة الطاهرة
إنما هي عجركم عن التوليد في حين أنكم تلوحون كالجبالي
المنقلات على الآفاق .

إنكم تحشون أفواهكم بأببل الكلمات لايها منا بأن قلبكم
يتدفق عطفاً وما أنتم إلا منافقون .